المقيم خارجها فهو انسان لا اله له » (كما جاء في احد اسفار التلمود وفي احد تصريحات بن غوريون) . بل ان فكرة الارض تتخطى فكرة الثواب والعقاب والاخلاقية فقد جاء في نفس السفر ان من يعش خارج ارض الميعاد كمن يعبد الاصنام ، وجاء ايضا ان من يسر اربع اذرع في فلسطين يطهر من الذنوب ، بل ان حديث من يسكنون في فلسطين في حد ذاته توراة » . (نفس المصدر ص ٦٥).

ويقر الاستاذ فيربلوفسكي ، عميد كلية الاداب في الجامعة العبرية ، (**من الفكر الصهيوني المعاصر** ، مركز الابحاث ١٩٦٨ ، ص ٢٣ — ٢٤) ، أن صلة الشعب اليهودي بفلسطين « ظلت ، حتى العصر الحديث تستقي من الدين ، قبل اي ينبوع آخر، صورتها وصياغتها». وتساءل الكاتب اذا كان ذلك لا يزال ممكنا بعد ، حيث يقول : « كذلك ينبغي ان نقر بان طبع التاريخ اليهودي ، حديثا ، بطابع العصر ، يشكل منعطفا حاسما ان لم يشكل ازمة في تواصل التاريخ المذكور » .

واشار فيربلوفسكي في كلامه الى العقدة التي يتعسر على المفكرين الصهيونيين خاصة العلمانيين منهم ، حلها عند الكلام عن العلاقة بين الشعب اليهودي والارض ، فقال : « يبقى لزاما علينا ، رغم ذلك ، ان نلاحظ ان بعض المفكرين اليهود المنتمين الى الطبقة العليا ظلوا ، في هذا العصر نفسه ، لا يستطيعون الا ان يلجأوا الى اللغة الدينية لكي يفسروا ويصوغوا على النحو الذي يرضيهم ، معنى هذه العلاقة الفريدة بين الشعب وبين ما كانوا ، هم ايضا ، يعتبرونه ، عبر تجربة الشعب ذاتها ، ارضا له ». هذا اللسان الديني كان يستعير لهجات عدة : فمن لهجة الحاخام المتصوف الكابالي كوك وهي تقليدية نسبيا ، الى لهجة مارتن بوبر الحديثة ، الى اللهجة التولستوية التي يعتمدها اهارون دافيد غوردون وهواقرب الى القديس العلماني منه الى اللهجة العقائدية التي نجدها عند حركة المزارع الاشتراكية (الكيبوتس) .

وبامكان الباحث في القضايا الصهيونية ان يفهم آراء وتنظيرات مفكري الصهيونية المتدينين ، حيث يجد انسجاما بين غيبية آرائهم السياسية ومعتقداتهم الدينية . الا ان المفارقة تبرز في فكر اولئك الذين يدعون العلمانية ويتجردون من الميول الدينية ، ومنهم من تزعم الحركة الصهيونية ، امثال هرتسل ووايزمن وبن غوريون .. الخ . وقد اكتشف بعضهم هذه المفارقة في كلامه عن القومية اليهودية ومقوماتها المادية ، ومن ثم ربطها « بارض الميعاد » وحشرها في خصوصية « الشعب المختار » ، استنادا الى الاسفار الدينية وما ورد فيها من اقوال . وكان بين هؤلاء المنظر الصهيوني بير بوروخوف ، الذي انطلق من فكر ماركسي ومنطق جدلي كي يفسر انفراد فلسطين ، من بين بقاع العالم ، بملاءمتها وصلاحياتها لاقامة دولة اليهود . وراح بوروخوف يتخبط في تنظيراته الى ان وصل الى الطريق المسدود . فعاد ادراجه يتسلل الى التيار العام في الفكر الصهيوني ، واللجوء لقبول الاساس الديني للربط بين الشعب والارض . وبالمقابل حاول الفيلسوف اليهودي مارتن بوبر حجب المنطلقات الصهيونية الشوفينية بوشاح من الفلسفة الصوفية ، الا ان ذلك الوشاح بقي شفافا جدا .

وتبلغ الشوفينية الصهيونية ذروتها في كتابات رواد العمل الصهيوني التنفيذي، امثال كاتسنلسون وبن غوريون . وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد هنا بعضا من اقوال بن غوريون في مناقشاته مع رجال « عصبة السلام » (بريت شالوم)،